العلاّمة سعدي جلبي(ت945هـ) ومنهجه في حاشيته على تفسير البيضاوي

بلال جاسم محمد
الجامعة المستنصرية / كلية التربية الاساسية

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه الطيبين الطاهرين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإنَّ العلوم المعتبرة تتفاوت منزلة من شريف إلى اشرف بحسب ذلك المعلوم، ولا شك أنَّ أعلاها منزلة وأوثقها عروة ما اتصل بكتاب الله العظيم، فهو رسالته لمن خلق من عباده ليهديهم إلى حسن العيش في الدارين، سعادة في الدنيا وجنة في الآخرة.

وكان أول علم يتصل بهذا الكتاب الكريم هو علم التفسير الذي من خلاله يتوصل إلى معرفة مراد الله في خطابه وحكمه لعباده.

وهذا الكتاب الكريم له طريقان في تفسيره وإدراك معانيه لا ثالث لهما، فإما أنْ تفسر اللفظة بتفسير شرعي اصطلاحي أي ينقلها الشارع لمعنى آخر غير ما وضعت له في اللغة، وإما أنْ تترك على ما هو معروف لها من معناها الوضعي في اللغة العربية، وسياق الكلام هو الذي سيحدد احد المعنيين، مثال ذلك لفظة (الصلاة) فقد جاءت في الغالب في معناها الاصطلاحي وهو العبادة المعروفة، لكنّا نجدها في مواضع أخرى قد جاءت بمعناها اللغوي وهو الدعاء كقوله تعالى [ﭐﭑﭒﭓﭔﭕﭖﭗﭘﭙﭚﭛﭜﭝﭞﭟﭠﭡﭢﭣﭤﭥﭦﭧﭨﭩﭪﭫﭬﭭﭮﭯﭰﭱﭲﭳﭴﭵﭶﭷﭸﭹﭺﭻﭼﭽﭾﭿﮀﮁﮂﮃﮄﮅﮆﮇﮈﮉﮊﮋﮌﮍﮎﮏﮐﮑﮒﮓﮔﮕﮖﮗﮘﮙﮚﮛﮜﮝﮞﮟﮠﮡﮢﮣﮤﮥﮦﮧﮨﮩﮪﮫﮬﮭﮮﮯﮰﮱﯓﯔﯕﯖﯗﯘﯙﯚﯛﯜﯝﯞﯟﯠﯡﯢﯣﯤﯥﯦﯧﯨﯩﯪﯫﯬﯭﯮﯯﯰﯱﯲﯳﯴﯵﯶﯷﯸﯹﯺﯻﯼﯽﯾﯿﰀﰁﰂﰃﰄﰅﰆﰇﰈﰉﰊﰋﰌﰍﰎﰏﰐﰑﰒﰓﰔﰕﰖﰗﰘﰙﰚﰛﰜﰝﰞﰟﰠﰡﰢﰣﰤﰥﰦﰧﰨﰩﰪﰫﰬﰭﰮﰯﰰﰱﰲﰳﰴﰵﰶﰷﰸﰹﰺﰻﰼﰽﰾﰿﱀﱁﱂﱃﱄﱅﱆﱇﱈﱉﱊﱋﱌﱍﱎﱏﱐﱑﱒﱓﱔﱕﱖﱗﱘﱙﱚﱛﱜﱝﱞﱟﱠﱡﱢﱣﱤﱥﱦﱧﱨﱩﱪﱫﱬﱭﱮﱯﱰﱱﱲﱳﱴﱵﱶﱷﱸﱹﱺﱻﱼﱽﱾﱿﲀﲁﲂﲃﲄﲅﲆﲇﲈﲉﲊﲋﲌﲍﲎﲏﲐﲑﲒﲓﲔﲕﲖﲗﲘﲙﲚﲛﲜﲝﲞﲟﲠﲡﲢﲣﲤﲥﲦﲧﲨﲩﲪﲫﲬﲭﲮﲯﲰﲱﲲﲳﲴﲵﲶﲷﲸﲹﲺﲻﲼﲽﲾﲿﳀﳁﳂﳃﳄﳅﳆﳇﳈﳉﳊﳋﳌﳍﳎﳏﳐﳑﳒﳓﳔﳕﳖﳗﳘﳙﳚﳛﳜﳝﳞﳟﳠﳡﳢﳣﳤﳥﳦﳧﳨﳩﳪﳫﳬﳭﳮﳯﳰﳱﳲﳳﳴﳵﳶﳷﳸﳹﳺﳻﳼﳽﳾﳿﴀﴁﴂﴃﴄﴅﴆﴇﴈﴉﴊﴋﴌﴍﴎﴏﴐﴑﴒﴓﴔﴕﴖﴗﴘﴙﴚﴛﴜﴝﴞﴟﴠﴡﴢﴣﴤﴥﴦﴧﴨﴩﴪﴫﴬﴭﴮﴯﴰﴱﴲﴳﴴﴵﴶﴷﴸﴹﴺﴻﴼﴽ﴾﴿﵀﵁ﵐﵑﵒﵓﵔﵕﵖﵗﵘﵙﵚﵛﵜﵝﵞﵟﵠﵡﵢﵣﵤﵥﵦﵧﵨﵩﵪﵫﵬﵭﵮﵯﵰﵱﵲﵳﵴﵵﵶﵷﵸﵹﵺﵻﵼﵽﵾﵿﶀﶁﶂﶃﶄﶅﶆﶇﶈﶉﶊﶋﶌﶍﶎﶏ﶐﶑ﶒﶓﶔﶕﶖﶗﶘﶙﶚﶛﶜﶝﶞﶟﶠﶡﶢﶣﶤﶥﶦﶧﶨﶩﶪﶫﶬﶭﶮﶯﶰﶱﶲﶳﶴﶵﶶﶷﶸﶹﶺﶻﶼﶽﶾﶿﷀﷁﷂﷃﷄﷅﷆﷇﷰﷱﷲﷳﷴﷵﷶﷷﷸﷹﷺﷻ﴾] التوبة: ١٠٣.

ومن هذا الذي أسلفنا يظهر أنَّه من أراد أنْ يفهم كلام الله تعالى، وجب عليه معرفة ما هو مأثور في تفسير القرآن، وما هو باقٍ على أصله اللغوي، وهذا المأثور سواء أكان تفسيرا للقران من القرآن نفسه، أم كان تفسيرا للقرآن بما أثر عن النبي (عليه الصلاة والسلام) والصحابة والتابعين (رضي الله عنهم)، لذلك نرى الصحابة في أول الأمر لم يسألوا النبي عن جميع القرآن وإنَّما سألوه عمّا دق فهمه، ذلك أنَّه نزل بلغتهم، فأبو بكر رضي الله عنه مثلا قد فهم القرآن كما فهمه أبو لهب، لكنه شتان ما بين عبد أوصله ما فهم أنْ يسلم نفسه لبارئه الذي هو احرص على نجاته من

نفسه، وبين آخر أوصله ما فهم أنْ يهلك نفسه عنادا وكفرا.

لذا نرى كتب التفسير الأولى قد اقتصرت على التفسير بالمأثور على اعتبار أنَّ القسم الثاني وهو فهم ظاهر اللغة متيسر في ذلك العصر لأهله. ومع كثرة الفتوحات واختلاط الناس وظهور العجمة في اللسان بدأت مرحلة جديدة وهي ظهور كتب التفسير التي تضم كلا القسمين، فلذلك نرى هؤلاء المفسرين بداية يذكرون ما هو مأثور في تفسير الآية ثم يعرجون على معانيها اللغوية فيفصلون في هذه المعاني ويجتهدون ببذل كل ما في وسعهم ليصلوا إلى مراد الله، ليكون حكمه في حقهم، أنيسهم في ذلك أنَّهم إنْ أصابوا لهم أجران وإنْ اخطئوا فلهم اجر واحد.

وبعد هذه المرحلة جاءت مرحلة الجمود والتقليد وبخاصة في نهاية عصر الدولة العثمانية إذ اخذ التأليف شكلا جديدا وهو كثرة الحواشي على الكتب، وهذه الحواشي هي تعليقات على كلام المؤلف تكتب بجانب المتن، تارة للشرح والتأييد وأخرى للنقد والتفنيد بحسب مشارب مؤلفيها، ولم تقتصر هذه الحواشي على التفسير فقط، وإنَّما كانت تكتب على أنواع العلوم الشرعية، شرحا لمختصرها، وبيانا لكل ما قد يشكل فهمه على قارئه، وكان إحدى هذه الحواشي هو هذا الكتاب، وقد قسمت البحث إلى أربعة مباحث، جعلت الأول منها للحديث عن المؤلف في حياته وآثاره، وذكر شيوخه وتلاميذه، ومذهبه في العقيدة والفقه، وختمته بآثاره وأقوال العلماء فيه، أما المبحث الثاني فكان لاسم الكتاب ونسبته إلى مؤلفه، والدافع إلى تأليفه، مع ذكر أبرز المصادر التي استقى المؤلف منها كتابه، وأما المبحث الثالث فكان عن منهج المؤلف في كتابه، فذكرت منهجه في التفسير واللغة والقراءات والعقيدة والفقه والحديث وأسباب النزول والمكي والمدني وتناولت أخيرا طريقة عرضه للمادة، وأما المبحث الرابع وهو الأخير فكان عن بعض المآخذ التي ظهرت لي في أثناء دراستي للكتاب، وإن كانت لا تقلل أبدا من قيمته العلمية لما ظهر له من حب واقتناء من قبل كثير من المسلمين، ثم أنهيت البحث بخاتمة وقائمة بالمصادر والمراجع، وأخيرا أسأل الله العظيم أن يجعل عملي هذا خالصاً لوجهه الكريم، وأن يغفر لي إن زللت إنه هو الغفور الرحيم.

المبحث الأول

المؤلف: حياته وآثاره

هو سعد الله بن عيسى بن أمير خان، القسطموني[1]، الرومي، الحنفي[2] الشهير بسعدي جلبي، أو سعدي أفندي، أو سعدي المفتي[3].

ولد العلامة سعدي جلبي في ولاية قسطموني، وهي إحدى ولايات الدولة العثمانية، ألا أنَّ المصادر لم تذكر تأريخا لولادته، رحل مع أبيه أمير خان إلى القسطنطينية[4] التي كانت عاصمة الخلافة العثمانية بعد فتحها، حيث دعا السلطان محمد الفاتح عند فتحه لهذه المدينة العظيمة العلماء إلى القدوم إليها والعيش فيها لتثقيف أهلها بالإسلام فأوجد بعمله هذا تربة خصبة لإنتاج العلماء الذين درس على أيديهم فيما بعد الكثير من العلماء منهم العلامة سعدي جلبي رحمه الله.

نشأ العلامة سعدي جلبي محبا للعلم، ودرس على يد العديد من علماء عصره في القسطنطينية بعد رحيله إليها كان من أبرزهم العلامة محيي الدين محمد بن حسن الساميسوني الذي كان والده –المولى حسن– من العلماء المشهورين في القسطنطينية.

ثم بعد ذلك أصبح مدرسا فدرّس في العديد من المدارس منها مدرسة محمود باشا الوزير بالقسطنطينية، ثم بسلطانية بروسيا، ثم بعدها صار مدرسا في إحدى المدارس الثمان[5]، ثم ترقى بعد ذلك فأصبح قاضيا للعسكر، ثم عزل فعاد الى إحدى المدارس الثمان، ثم صار فيما بعد مفتيا في القسطنطينية مدة طويلة إلى أنْ توفي سنة 945هـ، باتفاق من ترجم له. ويذكر أنَّه قد بنى دارا للقراء بجوار داره لتدريس العلوم الشرعية عرفت فيما بعد بـ(دار القراء) والتي بقيت بعد موته موقوفة لطلبة العلم، درّس فيها العديد من العلماء الذين جاءوا من بعده كما ذكر ذلك في تراجمهم.

وذكر ابن طولون[6] أنه توفي بعلة النقرس قال: وكانت وفاته عند صلاة الجمعة ثاني عيد الفطر من السنة المذكورة"[7].

شيوخه:

رحل سعدي جلبي(رحمه الله) مع والده إلى القسطنطينية، لطلب العلم، حيث كانت عاصمة للدولة العثمانية ومن الطبيعي أنْ يكون فيها الكثير من العلماء الذين سمع منهم، لكن مع قول أصحاب التراجم إنَّه قرأ على العديد من علماء عصره، إلا أنَّي لم اعثر فيما بين يدي من كتب التراجم إلا على شيخ واحد صرحوا بذكر اسمه وهو:–

• محيي الدين محمد بن المولى الفاضل حسن الساميسوني، اخذ العلم عن أبيه وعن المولى علاء الدين علي العربي، عمل مدرسا في مدارس عدة ثم عين قاضيا بـ(أدرنه) وتوفي وهو قاض فيها سنة 919هـ، له مؤلفات هي: حواش على شرح المفتاح للشريف الجرجاني، وحواش على حاشية شرح التجريد للشريف أيضا، وحواش على التلويح للعلامة التفتازاني[8].

وقد افرد له صاحب الفوائد البهية سنده في طلب العلم فقال: اخذ العلم عن محمد الساميسوني عن أبيه عن المولى خسرو بن فراموز عن حيدر الهروي عن علي العربي عن خضر بيك عن محمد بن ادمغان عن الفناري عن أكمل الدين البابرتي عن الكاكي عن السغناقي عن محمد البخاري عن محمد الكردي عن المرغيناني عن صدر الشريعة عن أبيه عن محمد السرخسي عن الحلواني عن أبي الحسين النسفي عن محمد بن الفضل عن عبد الله السبذموني عن محمد بن أبي حفص الكبير عن أبيه عن محمد[9].

تلاميذه:

أما تلاميذه فقد أخذ منه العديد من العلماء منهم:

1. المولى خير الدين أصله من ولاية قسطموني قرأ على العديد من علماء عصره منهم سعدي جلبي. ثم صار معلما توفي سنة 953هـ.
2. شمس الدين احمد ابن الشيخ مصلح الدين المشتهر بـ(معلم زادة) ينتهي نسبه إلى الزاهد المشهور إبراهيم بن ادهم (ت161هـ). درس مبكرا على يد العلامة ثم أصبح مدرسا في مدارس عدة، ثم ولي القضاء في أماكن عديدة كان آخرها قضاء العسكر في ولاية روم ايلي، توفي سنة 980هـ[10].
3. أبو السعود محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي، لازم العلامة سعدي جلبي وبعد أنْ توفي الأخير خلفه في مكانه على الإفتاء بالقسطنطينية سنة 952هـ، له تفسير سماه (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القران الكريم) وهو المشهور بتفسير أبي السعود، و(حاشية على العناية) من أول كتاب البيع، وحواش على بعض الكشاف، وقصائد طويلة، توفي سنة982هـ ودفن بجوار قبر أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه في القسطنطينية[11].
4. الشيخ محرم بن محمد ولد في ولاية قسطموني ونشأ بها على طلب العلم وسلك مسلك الوعظ، ثم انتصب للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في عدد من الأماكن ثم عمل مدرسا، وأخيرا

عمل واعظا في مسجد السلطان سليمان القانوني بعد افتتاحه، أتم في وعظه تفسير الكشاف والبيضاوي مرارا، توفي سنة 983هـ[12].

5. عبد الرحمن بن علي الأماسي وهو الذي استخرج حاشيته على التفسير وحاشيته على العناية وحاشيته على القاموس المحيط، نشأ على طلب العلم وقرأ على علماء عصره كسابقيه من طلبة المولى سعدي جلبي ثم أصبح مدرسا في مدارس عدة ثم تولى القضاء أيضا في أماكن عدة كان آخرها قضاء العسكر توفي سنة 983هـ[13].
6. زين العباد بن إبراهيم القيصري الحنفي ولد رحمه الله ببلدة قيصرية ثم رحل إلى القسطنطينية وقرأ على علمائها فلازم سعدي جلبي إلى أنْ توفي، ثم عمل في التدريس فتنقل في مدارس عدة كان آخرها مدرسة السلطان سليمان خان بمدينة دمشق وصار مفتيا فيها فبقي كذلك إلى أنْ توفي سنة 984هـ[14].
7. المولى حامد ولد في قرية قونية،وقرأ على العديد من العلماء منهم العلامة، وقلد بعدها إدارة العديد من المدارس ثم العديد من المناصب في القضاء وآخرها كان الإفتاء بعد وفاة أبي السعود توفي سنة 985هـ[15].
8. شمس الدين احمد بن المولى بدر الدين المشتهر بقاضي زاده، ولي مدارس عدة منها إحدى المدارس الثمان ثم ولي القضاء فتنقل في عدة ولايات فبدأ بحلب وانتهى أخيرا مفتيا للديار الرومية. له كتب منها شرح آخر الهداية ابتدأ من كتاب الوكالة إلى آخر الكتاب وهو الجزء الذي لم يكمله ابن الهمام بسبب وفاته، وحاشية على (شرح المفتاح) للسيد الشريف و(محاكمات بين صدر الشريعة وابن كمال باشا) توفي سنة 988هـ ودفن بالقرب من جامع السلطان محمد الكبير بمدينة القسطنطينية[16].

مذهبه الفقهي والعقائدي:

كان المؤلف (رحمه الله) حنفيا في مذهبه الفقهي، وهذا ما ذكر باتفاق في كتب التراجم، أما مذهبه في العقيدة فهو مذهب أهل السنة كما يظهر ذلك واضحا في كتابه.

آثاره وأقوال العلماء فيه

آثاره:

ذكر أصحاب التراجم إنَّ لسعدي جلبي مؤلفات منها ما هو مطبوع ومنها ما هو مخطوط هي:

1. حاشية على تفسير البيضاوي. وقد ذكرها كل من ترجم له ولم يذكر اسما لها إلا في كتاب الأعلام للزركلي حيث سماها (الفوائد البهية)[17].
2. حاشية على العناية شرح الهداية[18] في فروع الفقه الحنفي
3. فتوى في مواضع من فصوص الحكم لابن عربي[19].
4. حاشية على القاموس للفيروز أبادي[20].
5. منظومة في الفقه التركي[21].
6. رسائل وتعليقات[22]. منها تعليقه على القصيدة العينية لابن سينا[23].
7. مجموعة فتاوى، جمعها احمد بن محمد الحنفي في كتابه (خزانة الفتوى) مع فتاوى لعلماء آخرين[24].
8. وذكرت له مؤلفات أخرى إضافة لما سبق، في الفهرس الذي ألفه مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية في المملكة العربية السعودية المسمى خزانة التراث[25] هي:-

- الرسالة السعدية شرح الفاتحة.
- منظومة في الحديث الشريف والفقه.
- حاشية على تفسير جزء عم.
- رسالة في العقائد.

أقوال العلماء فيه:

أما أقوال العلماء فيه، فقد أثنى عليه كل من ترجم له أو تكلم على سيرته، ومما قيل فيه:

- "فائق اقرأنه في تدريسه وكان في قضائه مرضي السيرة محمود الطريقة وكان في فتواه مقبول الجواب ومهديا إلى الصواب وكان رحمه الله تعالى طاهر اللسان لا يذكر أحدا إلا بخير صحيح العقيدة حسن الطريقة... وقد بنى دار القراء بقرب داره بمدينة قسطنطينية"[26]
- ومما قيل فيه أيضا "كان فائق الأقران في أنواع العلوم وتدريسه وقضائه وإفتائه"[27].
- "كان من جملة الذين صرفوا جميع أوقاتهم في الاشتغال بالعلم الشريف، وقد ملك كتباً كثيرة، واطلع على عجائب منها، وكان ينظر فيها، ويحفظ فوائدها، وكان قوي الحفظ جداً، حفظ من المناقب والتواريخ شيئاً كثيراً"[28].
- "قال بدر الدين الغزي إنَّ شيخه القاضي محب الدين الحنفي اخبره إنَّه وُجِدَ مكتوباً في جدار مجلس المولى سعدي:

أوصاف سعدي مثل شمس الضحى ظاهرة في القرب والبعد

إذا عملت الشعر في مدحه فإنَّما أعمل، في سعدي[29]

المبحث الثاني

اسم الكتاب، ونسبته إلى مؤلفه، والدافع إلى التأليف

لم أجد فيما بين يدي من كتب التراجم وكتب فهارس الكتب وغيرها كلاما للمؤلف –سعدي جلبي– يصف فيه كتابه، وإنما كانت كلها تتحدث عنه بضمير الغائب ولذلك فكل المعلومات التي جمعتها حول الكتاب هي أقوال لغير مؤلفه، سواء أكانت من تلاميذه أو ممن جاء بعده.

فأما ما يتعلق باسم الكتاب فلم أجد له اسما إلا في كتاب الأعلام للزركلي وتبعه في ذلك صاحب معجم المفسرين في أنَّ اسمه هو (الفوائد البهية)[30]، أما الأغلب فكان يسميه (حاشية على تفسير البيضاوي) وبعضهم يسميه (حاشية على أنوار التنزيل)، والذي أرجحه إنَّه ليس للكتاب اسم؛ ذلك لأنَّ الكتاب لم يخرجه صاحبه كتابا مستقلا، بل كان أشبه بملاحظات وشروح مبسطة على نسخته من تفسير البيضاوي يستعين بها في أثناء تدريسه تلاميذه، استخرجها ورتبها كتابا مستقلا اعز تلاميذه عبد الرحمن بن علي الأماسي[31].

وأما نسبة الكتاب لمؤلفه فلم أجد أي خلاف في نسبته إليه، ذلك أنَّه لم يذكر لهذه الحاشية اسما حتى تتشابه وتختلط بغيرها، فكانت تسميتها بحاشية سعدي جلبي على تفسير البيضاوي، أو تصريح النساخ بذكر اسم المؤلف في نهايتها درعا واقيا لعدم نسبتها لغيره.

وأما الدافع إلى تأليفه فالذي يظهر أنَّ تفسير البيضاوي كان يدرّس بوصفه منهجا في المدارس والمساجد في زمن الدولة العثمانية، وهذا التفسير كما هو معروف مختصر من تفسير الكشاف للزمخشري، وكلا التفسيرين لا يطيلان في التوضيح والشرح كما في بعض التفاسير الأخرى، وإنَّما في الغالب الاختصار والاقتصار على أهم ما يتعلق بتفسير الآية، دون الإطالة في ذكر أسماء القراء ورواياتهم وخلافهم وكذا مسائل النحو والبلاغة والعقائد وغيرها كل ذلك أدى إلى ظهور الكثير من الحواشي عليهما.

وهذه الحواشي تكون شرحا لما أُخْتصِر في التفسير وإيضاحا لما قد يشكل فهمه على قارئه فيما تناوله من مسائل، وكما بينا أنَّ المؤلف قد عمل مدرسا في عدة مدارس فدون هذه الحاشية على نسخته الخاصة من تفسير البيضاوي لتسهّل عليه تدريسه لتلاميذه، خاصة وأنَّه كان من الشيوخ والمدرسين البارزين، ولم يكن بارزا لولا جودة شرحه وسهولة إيصاله مادته إلى ذهن

التلاميذ، والذي شهد به العديد من العلماء، فلاقت حاشيته قبولا ورواجا بين المدرسين، ما أدى إلى انتشارها واقتنائها بل وحتى كتابة حواش عليها كتبها الذين جاؤوا من بعده.

مصادر الكتاب

لا غنى لأي مؤلف شرع في تأليف كتاب ما إلا بالرجوع إلى كتب ذلك الفن تأييدا لحجته وشرحا لمادته، وهذا الكتاب هو مادة تفسيرية، وكما هو معروف أنَّ علم التفسير هو من أوسع العلوم وأغزرها مادة، فلا بد لمن يؤلف فيه أنَّ يرجع إلى كتب الفنون الأخرى، ككتب العقيدة والفقه واللغة وعلوم القرآن، بكل فروعها، كي يفهم مراد الله تعالى من كتابه، وهذا ما نجده في كتب التفسير ومنها هذا الكتاب، فقد ذكر مؤلفه الكثير من الأقوال تارة بذكر قائلها فقط، وتارة بذكر اسم الكتاب الذي اخذ منه فقط، وأخرى بذكر اسم المؤلف واسم الكتاب معا، تأييدا لما ذهب إليه، أو ردا لما قاله ذلك المؤلف، بحسب عرضه لذلك الموضوع، وها أنا ذا اعرض أسماء تلك الكتب التي رجع إليها المؤلف مرتبة بحسب حروف الهجاء:-

1. الإحكام في أصول الأحكام للآمدي.
2. أساس البلاغة للزمخشري.
3. أسباب النزول للواحدي.
4. الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر.
5. إعراب السفاقسي.
6. أمالي ابن الحاجب.
7. أمالي ابن الشجري.
8. الانتصاف لابن المنير.
9. الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري.
10. الإيضاح في شرح المفصل لابن الحاجب.
11. الإيضاح في علوم البلاغة للقزويني.
12. تاج المصادر – في اللغة، لمحمد بن عبد الله السمرقندي.
13. تاريخ دمشق لابن عساكر.
14. التبيان في إعراب القرآن للعكبري.
15. تحبير التيسير لابن الجزري.

16. تحفة الغريب –شرح مغني اللبيب– لابن الدماميني.
17. التذكرة لأبي علي الفارسي.
18. تفسير ابن مردويه.
19. تفسير أبي بكر الأصم.
20. تفسير البيضاوي.
21. تفسير التيسير لبرهان الدين النسفي.
22. تفسير العز بن عبد السلام.
23. تفسير القرآن العظيم لابن أبي حاتم.
24. تفسير الكشاف.
25. تفسير الكواشي.
26. تفسير الواحدي.
27. جامع الأصول في أحاديث الرسول لابن الأثير.
28. جامع البيان في تفسير القرآن للطبري.
29. الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
30. الجنى الداني لحسين بن قاسم المرادي.
31. حاشية الطيبي
32. حاشية ولي الدين العراقي على الكشاف.
33. الحواشي القطبية.
34. الدر المصون للسمين الحلبي.
35. دلائل النبوة للأصفهاني.
36. دلائل النبوة للبيهقي.
37. ديوان النابغة الذبياني.
38. ديوان زهير ابن أبي سلمى.
39. ديوان كثير عزة.
40. سنن ابن ماجه.
41. سنن الترمذي.

42. شرح التلخيص للتفتازاني.
43. شرح الرضي على الكافية.
44. شرح الشافية للجاربردي.
45. شرح الطوالع للأصفهاني.
46. شرح ألفية ابن مالك لابن مالك.
47. شرح الكافية الشافية لابن مالك.
48. شرح اللَّمَع، على الأغلب لابن الخشاب.
49. شرح المصابيح للبيضاوي.
50. شرح المواقف للشريف الجرجاني.
51. شرح ديوان الحماسة للمرزوقي.
52. شرح لب اللباب لعبد الله النقرة كار.
53. شواهد التوضيح لمشكلات الجامع الصحيح لابن مالك.
54. الصحاح في اللغة للجوهري.
55. صحيح البخاري.
56. صحيح مسلم.
57. فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر.
58. الفروق لأبي هلال العسكري.
59. القاموس المحيط للفيروز آبادي.
60. الكافية الشافية لابن مالك
61. الكامل للمبرِّد.
62. كتاب سيبويه.
63. الكشف على الكشاف للقزويني.
64. الكشف والبيان للثعلبي.
65. كنز المعاني في شرح حرز الأماني للجعبري.
66. اللباب في علل البناء والإعراب للعكبري.
67. اللوامح لعبد الرحمن بن الحسن الرازي.

68. مجاز القرآن لأبي عبيدة.
69. مختصر المعاني للتفتازاني.
70. مدارك التنزيل لأبي البركات النسفي.
71. المستدرك على الصحيحين للحاكم.
72. مصنف ابن أبي شيبة.
73. معالم التنزيل للبغوي.
74. معاني القرآن وإعرابه للزجاج.
75. معاني القرآن للفراء.
76. معاني القرآن للنحاس.
77. المعجم الأوسط للطبراني.
78. المعجم الكبير للطبراني.
79. مغني اللبيب لابن هشام الأنصاري.
80. مفاتيح الغيب للفخر الرازي.
81. مفتاح العلوم للسكاكي.
82. مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصفهاني.
83. المفصّل في صنعة الإعراب للزمخشري.
84. المقتضب للمبرِّد.
85. الموضوعات لابن الجوزي.
86. النشر في القراءات العشر لابن الجزري.
87. النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير.
88. الهداية شرح بداية المبتدي لأبي بكر المرغيناني.

المبحث الثالث

منهج المؤلف في الكتاب

إنَّ خلو الكتاب من أي مقدمة أو كلام للمؤلف يجعل الناظر في هذا الكتاب يأخذ بما ظهر له في أثناء قراءته، فلا يوجد نص للمؤلف على منهجه في تأليفه لهذا الكتاب حتى يتبين لنا أنَّه خالف منهجه في موضع كذا، فالواجب علينا في هذه الحالة حمل الأمور على ما ظهر لنا في

أثناء مطالعته. ولما ذكرنا أن المؤلف رحمه الله كان مدرسا فهو أراد أنْ يوصل المعلومة إلى ذهن التلميذ بأوضح صورة كي يتلقاها بأقل جهد، والذي يدل على ذلك هو انتشار هذه الحاشية بين المدرسين كما أسلفنا.

ولما كانت دافع تأليف الكتاب هو توضيح تفسير البيضاوي فهو لم يتعرض لكل جزئية من التفسير، وإنَّما تعرض لما قد يشكل فهمه على التلميذ كما بينا. ومن خلال النظر في هذا الكتاب يمكن تلخيص منهجه بما يأتي:-

التفسير:

مرت عملية التفسير بعدة مراحل، كان أولها تفسير القرآن بالمأثور سواء أكان تفسير القرآن بالقرآن، أم بما نقل عن النبي عليه الصلاة والسلام، أو الصحابة والتابعين رضي الله عنهم.

ثم جاءت بعد ذلك مرحلة التفسير بالرأي، والمقصود به الاجتهاد في تفسير القرآن بعد تحصيل علوم اللغة العربية بأنواعها، وعلم القراءات وأصول الدين (العقائد) والناسخ والمنسوخ والمكي والمدني وغيرها، بغية الوصول لأدق فهم لمراد الله من كتابه، ولا يعني هذا مطلقا التخلي عن التفسير بالمأثور، وإنَّما هو بإضافة هذه العلوم إليه.

ومن النظر في كتابه الذي بين أيدينا يظهر لنا بوضوح انه من النوع الثاني وهو التفسير بالرأي إذ ناقش المؤلف فيه الكثير من المسائل المتعلقة بهذه العلوم، ويدل على ذلك أيضا كثرة الاستشهاد بكتب التفسير بالرأي كالكشاف ومفاتيح الغيب والبحر المحيط وغيرها من الكتب المشهورة في هذا النوع.

اللغة:

تعد اللغة العربية ركنا أساسيا في فهم الإسلام كونها اللغة التي اختارها رب العزة لرسالته، قال تعالى في القرآن الكريم [ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ] يوسف: ٢، وورد في الحديث الشريف قول النبي عليه الصلاة والسلام: (بُعِثْتُ بِجَوَامِعِ الْكَلِمِ)[32]. وبهذين الدليلين وغيرهما يتبين أنَّ الكتاب والسنة لا يفسران إلا بلغة العرب وما تحتمله من وجوه، ولا يصح مطلقا تفسير القران أو السنة بعيدا عنها، إلا إذا ورد نص شرعي من كتاب أو سنة يصرف النص عن معناه اللغوي إلى معنى شرعي اصطلاحي. ولذلك نرى أنَّ أهل التفسير قد أكثروا من التفصيل في اللغة العربية في مباحثها كافة سواء أكانت في النحو أم في البلاغة أم في الصرف أم في غيرها من علوم اللغة الأخرى، لكن هؤلاء المفسرين قد تباينوا بما ذكروا فيها من هذه المباحث فمنهم من اقل كالطبري مثلا كونه يفسر بالمأثور من

أقوال النبي (عليه الصلاة والسلام) وأقوال الصحابة والتابعين (رضي الله عنهم). ومنهم من أكثر منها كالزمخشري والبيضاوي وأبي حيان وغيرهم. وبما أنَّ الكتاب الذي بين أيدينا هو حاشية على واحد منها وهو تفسير البيضاوي فلا بد من الإكثار من الشرح لهذه المباحث، لذا نجد المؤلف غالبا ما يكون كلامه شرحا لكلام البيضاوي فيها.

ففي النحو مثلا لم يظهر تأييده لمذهب البصريين أو الكوفيين وإنَّما نراه تارة يستشهد بكلام لسيبويه وأخرى للفراء، وكثيرا ما يعرض المسألة فقط بما يوضح كلام البيضاوي مع الاستشهاد بنصوص تعضد قوله وبخاصة من البحر المحيط لأبي حيان، ومن الأمثلة على ذلك تفسير قوله تعالى [ﮒﮓﮔﮕﮖﮗ] إبراهيم: ٤٧، قال البيضاوي «واصله مخلف رسله وعده فقدم المفعول الثاني إيذانا بأنَّه لا يخلف الوعد أصلا » قال المؤلف: "هذا الإيذان إنَّما ينشأ من جعل الاهتمام بشأن الوعد فهو ما سيق له الكلام تبع، قال سيبويه إنَّهم يقدمون الأهم وما هم بشأنه اعنى"[33].

ومثال الاستشهاد بكلام الكوفيين: في تفسير قوله تعالى ﭽﭞﭟﭠﭡﭢﭽ الحجر: ١٠، قال المؤلف: قال الفراء هو من إضافة الشيء إلى صفته كقوله ﭽﭖ ﭗﭽ القصص:44، والأصل في الشيع الأولين، والبصريون يؤولون على حذف المضاف إليه أي في شيع الأمم الأولين وجانب المكان الغربي"[34].

ومثال ذكر المسألة دون ترجيح في تفسير قوله تعالى ﭽﯹﯺﯻﯼﯽﯾﭽ هود: ٦٩، قال البيضاوي: «والجار في (أن) مقدر أو محذوف»: قال المؤلف "لعله إشارة إلى مذهبي سيبويه، والخليل والكسائي، في أمثاله فإنَّ عند سيبويه (أن) مع صلتها في محل النصب بتقدير الجار، كما في المفعول فيه والمفعول له، وعندهما هي باقية على ما كانت عليه من الجر بعد حذف الجار كما في صور حذف الفعل العامل"[35].

ويعرض مسائل البلاغة كعرضه لمسائل النحو فهو يحرص على توضيح كلام البيضاوي إنْ كان فيه مجاز أو استعارة مع بيان نوعها أو تشبيها أو غير ذلك من علوم البلاغة. مثال ذلك في تفسير قوله تعالى ﭽ ﭾﭽ الرعد: ١٣، قال البيضاوي: «أو يدل الرعد على وحدانية الله.. » قال المؤلف: "فالمجاز في لفظ يسبح بحمده، شبّه دلالته على تنزيهه عن الشرك والعجز بتسبيح المُسَبِّح فأطلق لفظه عليه ودلالته على فضله، ونزول رحمته بحمد الحامد لجامع كون كل منهما إظهارا للصفات الكمالية"[36].

والصرف مثل سابقيه في عرض المؤلف مسائله بما يوضح مراد البيضاوي عند تناوله بعض المفردات التي تحتاج إلى بيان من ذلك: في تفسير قوله تعالى چۓۓڭڭڭۇۇچ النحل: ٩٢، قال البيضاوي «أو لكثرة منابذتهم وقوتهم كقريش فإنَّهم كانوا إذا رأوا شوكة في أعادي حلفائهم نقضوا عهدهم، وحالفوا أعداءهم» علق المؤلف على لفظة (مُنابِذَتُهم) بقوله: " بكسر الباء، جمع على وزن المقاتِلة"[37].

وأما بيان معاني الألفاظ فتارة نجده يبين المعنى للكلمة بالإحالة إلى المعاجم اللغوية، وبخاصة الصحاح والقاموس المحيط، وتارة أخرى يبين المعنى من غير إحالة، مثال الأول في تفسير قوله تعالى چڈڈژچيوسف: ٣٢، قال البيضاوي «وهو من صغر بالكسر» قال المؤلف:"في القاموس الصغر كعنب خلاف العظم صغر ككرم وفرح صغارا وصِغَرا محركة فهو صغير والصاغر الراضي بالذل جمعه صَغَرَة كَكَتَبَة وقد صغر ككرم صِغَرا كعنب وصغارا"[38]. ومثال الثاني في تفسير قوله تعالى چ□ □ □ □چ هود: ٤٤، «البلع النشف» قال المؤلف:"يقال نَشِفَ الثوب العرق كسَمِعَ ونَصَرَ إذا شرِبه"[39]. فهنا قد ذكر معنى من القاموس المحيط بتصرف قليل من غير إحالة إليه[40].

القراءات القرآنية:

لم يتطرق المؤلف إلى كل القراءات التي وردت في التفسير وإنَّما تطرق لبعضها ويمكن ملاحظة ابرز سمات منهجه فيها بما يأتي:-

1. ذكر القراء الذين رويت عنهم القراءة التي يريد توضيحها مع ضبط حركاتها. مثال ذلك عند قول البيضاوي «وقرئ ثم فصلت» قال المؤلف: "ابن كثير في رواية بفتحتين خفيفة"[41]. أو بضبطها فقط كقول البيضاوي في سورة الرعد «والمثلات» قال المؤلف: "يعني بضمتين"[42]. أو بذكر قرائها فقط. كقول البيضاوي في سورة الحجر «وقرئ معائش بالهمزة» قال المؤلف: "يعني الأعرج وخارجة عن نافع"[43].
2. تصحيح القراءات وتفسيرها. مثال ذلك في تفسير قوله تعالى چ□ □چ هود: ٨١، قال البيضاوي «ناقض ذلك قراءة ابن كثير ونافع وأبي عمرو» قال المؤلف: "هكذا وقع في أكثر النسخ، وفيه سهو فإنَّ نافعا لم يقرأ إلا بالنصب، ثم وجه المناقضة أنَّ قراءة الرفع تقتضي أن يكون الاستثناء من احد، وحينئذ تكون المرأة مأمورة بالإسرار بها، وقراءة النصب تقتضي أنْ يكون الاستثناء من اهلك وإلا لزم أنْ تكون قراءة أكثر القراء على خلاف الأفصح الذي هو البدلية

في مثله فلا يكون مأمورا بالإسراء"[44]. ومثال تفسير القراءة أيضا ما ذكره المؤلف في قراءة (وأرسلنا الريح) فقال: "قيل هذه القراءة تخالف ما جاء في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم (اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا) من أنَّ الرياح للخير والريح للشر وأجيب بأنَّه محمول على الغالب فقد جاء الريح في القرآن بمعنى الخير والنفع چچچچچيونس: ٢٢ "[45].

3. توثيق كلام البيضاوي يقوم المؤلف أحيانا بتوثيق كلام البيضاوي حين يذكر بعض القراءات، فمثلا عند ذكر البيضاوي أنَّ حفصا يدغم الباء في الميم في قوله تعالى چېېچ هود: ٤٢، لتقاربهما قال المؤلف:"وقد روي الإظهار أيضا عن حفص وفي النشر كلاهما صحيح"[46]. مع ذلك قد لا يوفق المؤلف أحيانا أخرى في الوصول إلى المصدر الذي اخذ عنه البيضاوي مثال ذلك في تفسير قوله تعالى چۀچ الرعد: ٤ قال البيضاوي «وقرأ حفص بالضم» قال المؤلف: "تبع فيه المصنف الإمام الرازي حيث قال قرأ حفص عن عاصم في رواية القواس چۀچ بضم الصاد والباقون بكسر الصاد لكن لم يذكر هذه القراءة منسوبة إلى حفص في كتب القراءة المشهورة... ولعل ذلك رواية شاذة عنه"[47]. بينما نجد أنَّ هذه الرواية ثابتة عن حفص كما ذكرها عنه ابن مجاهد في كتابه السبعة في القراءات[48].

العقيدة:

كان كلا العالمين البيضاوي وسعدي جلبي متبعين لمذهب اعتقادي واحد وهو مذهب أهل السنة، فكان المؤلف يؤيد البيضاوي فيما يذهب إليه من آراء مذهب أهل السنة ويأخذ عليه إتباعه لمذهب المعتزلة في بعض المواضع تابعا فيها الزمخشري. مثال ذلك في تفسير قوله تعالى چھھھ ھےچيوسف: ٢، قال البيضاوي «لعلكم تعقلون، علة لإنزاله» قال المؤلف: "فإنْ قيل أفعال الله تعالى لا تعلل بالأغراض عند أهل السنة، فكيف يستقيم هذا الكلام قلنا مراده العلة النحوية"[49].

وأما فيما يتعلق بالتنبيه على أنَّ البيضاوي ذكر تفسيرا مخالفا لمذهب أهل السنة فكما جاء في تفسير قوله تعالى چ□ □ □ □چ هود: ١٠٧، قال البيضاوي:«والمستثنى زمان توقفهم في الموقف للحساب» قال المؤلف: "فيكون الاستثناء مفرغا والمعنى أنَّهم في النار في جميع أوقات يوم القيامة إلا مدة مشيئة الله تعالى توقفهم في الموقف، وفيه بحث فإنَّ عصاة المؤمنين الداخلين في النار، أما سعداء فيلزم يخلدون في الجنة فيما سوى الزمان المستثنى وليس كذلك، أو أشقياء فيلزم أنْ يخلدون في النار وهو خلاف مذهب أهل السنة"[50].

الأحكام الفقهية:

أما من حيث الأحكام الفقهية فكان المؤلف حنفي المذهب كما نص على ذلك أصحاب التراجم، وكما هو الغالب في علماء الدولة العثمانية نتيجة لتبنيها للمذهب الحنفي، فأحيانا يظهر تأييده لمذهب الأحناف عند تناوله للمسألة الفقهية، وأحيانا أخرى يعرض المسألة بتوضيحها من غير ترجيح، فمثال الأول، ما جاء في تفسير قوله تعالى چ□ □ □ □چالحجر: ٣٩، قال البيضاوي: «والمعنى اقسم بإغوائك إياي.. ثم قال: وفي انعقاد القسم بأفعال الله تعالى خلاف» قال المؤلف: "أورد عليه بأنَّ الخلاف للفقهاء ونزاعهم في أنَّه يمين يترتب عليها أحكامها من الكفارة وغير ذلك لا في اليمين المتعارف، فإنَّه لا خلاف في أنَّ اسم الحلف في عرف العرب يقع عليه وهو متعارف عندهم ولهذا ورد النهي عن الحلف بالآباء وعده الأصحاب – أي الأحناف – مكروها.."[51].وقد أطال في هذه المسألة بتأييده مذهب الأحناف، مع نقله كلام من (الهداية) لتأييد ذلك.

ومثال الثاني في تفسير قوله تعالى چڑڑڟڟچالنحل: ٩٨، قال البيضاوي « يستعيذ في كل ركعة» قال المؤلف:"وهو مذهب ابن سيرين والنخعي قال القرطبي وأبو حنيفة والشافعي يتعوذان في الركعة الأولى في الصلاة ويَرَيَانِ قراءة الصلاة كلها قراءة واحدة، ومالك لا يرى التعوذ في الصلاة المفروضة ويراه في قيام رمضان"[52].

الحديث النبوي:

ذكر المؤلف في كتابه العديد من الأحاديث الشريفة والأقوال المأثورة عن الصحابة والتابعين، لكنه في الأغلب لم يخرج تلك الأحاديث والآثار، وإنْ كان في بعض المواضع يقوم بتخريجها، فمثال ما لم يقم بتخريجه: في تفسير قوله تعالى چۓۓڭڭچهود: ٣، قال البيضاوي: «يعيشكم في امن ودعة». قال المؤلف: "فإنْ قيل كيف يكون في امن ودعة إلى آخر العمر وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: (الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر)، وقال أيضا: (اشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل). قلنا لا منافاة فإنَّ دعة المؤمن لطيب عيشه برجائه في الله تعالى وفي ثوابه"[53]. فنرى أنَّ المؤلف أورد هذين الحديثين من غير تخريج.

أما مثال ما قام بتخريجه ما جاء في تفسير قوله تعالى چ□ □ □ □ □ چ هود: ٨٠، قال البيضاوي: «وعن النبي صلى الله عليه وسلم: (رحم الله أخي لوطا كان يأوي إلى ركن شديد)» قال

المؤلف: "رواه الشيخان"[54]. ومع ذلك قد نرى المؤلف أحيانا يذكر الحديث بالمعنى أو بالإشارة دون ذكر نص الحديث ومن ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى چڈڈٹ ٹڈڈڤ ڤچ هود: ٧، قال البيضاوي: «وجمع السماوات دون الأرض لاختلاف العلويات بالأصل والذات دون السفليات». قال المؤلف في تعليقه على قوله «والذات»: "فإنَّها سبع طباق بين كل اثنين منها مسيرة خمسمائة سنة على ما ورد في الخبر"[55].

أسباب النزول:

ذكر المؤلف أسباب النزول لبعض الآيات ولم يتعرض لجميعها مع الإحالة في بعضها إلى مصادر روايتها. من ذلك ما جاء في تفسير قوله تعالى چۋۋۅۅۉۉېچ الحجر: ٤٧، قال البيضاوي: «في الدنيا بما ألف بين قلوبهم أو في الجنة بتطييب نفوسهم» علق المؤلف على قوله «في الدنيا» بقوله: "اخرج ابن أبي حاتم وابن عساكر عن كثير النواء قال: قلت لأبي جعفر إنَّ فلانا حدثني عن على بن الحسين (رضي الله عنهما) أنَّ هذه الآية نزلت في أبي بكر وعمر وعلي چۋۋۅۅۉۉېچ الحجر: ٤٧، قال: والله إنَّها لفيهم أنزلت، قلت وأي غل هو؟ قال: غل الجاهلية، إنَّ بني تميم وبني عدي وبني هاشم كان بينهم في الجاهلية، فلما اسلم هؤلاء تحابوا فأخذت أبا بكر الخاصرة فجعل علي يسخن يده فيكمد بها خاصرة أبي بكر فنزلت هذه الآية، وروي عن علي أنَّها في أهل بدر نزلت"[56].

المكي والمدني[57]:

وهو كغيره من العلوم اللازمة لتفسير القرآن، نرى المؤلف فيه تارة يُفصِّل في ذلك، وأخرى يحجم عنه وخاصة في بدايات السور. من ذلك قول البيضاوي في أول سورة النحل «مكية غير ثلاث آيات في آخرها» قال المؤلف: "أولها چۇۆچ النحل: ١٢٦، كذا في معالم التنزيل، قال أبو حيان قال الحسن وعطاء وعكرمة وجابر هي كلها مكية، وقال ابن عباس إلا ثلاث آيات منها نزلت بالمدينة بعد حمزة وهي قوله.. فذكر الآيات ثم قال: وقيل من أولها إلى قوله چ چ النحل: ٥٤ وفي التفسير الكبير إلى قوله چ چ النحل: ٤٠، مدني وما سواه مكي وقال قتادة عكس هذا"[58]. في حين نراه أحيانا أخرى لا يذكر أي شيء عن المكي والمدني كما في أول سورتي يوسف والحجر.

طريقة عرضه للمادة:

لم تكن للمؤلف صورة واحدة في عرضه للمسائل فهو بوصفه شارحا لكلام البيضاوي يوضح

المسألة بما يزيل الغموض فيها، سواء كان الكلام الذي يعلق عليه كلمة واحدة أو أكثر لذا نراه تارة يعلق بإيجاز، وأخرى بشرح مفصّل، بقدر ما يتحقق فيه الإيضاح للمسألة. مثال ذلك في تفسير قوله تعالى چﭟﭠﭡچ هود: ٢٦ قال البيضاوي «صفة المعذِب» قال المؤلف:"إذ هو الخالق للألم"، فهنا نرى أنَّ المؤلف قد أوجز في بيان المعنى. في حين نراه في تفسير قوله تعالى چﭣﭤﭥﭦچ هود: ٧، يطيل في الشرح إلى أكثر من ثلاثين سطرا.

ومن الأمور التي يمكن ملاحظتها هو كثرة التعليل الظاهر في أسلوبه وهو نمط من أنماط حجته في عرض مادته التفسيرية فضلا عن استشهاداته الكثيرة تأصيلا للاحتجاج. مثال ذلك في تفسير قوله تعالى چ□□□□□□□ چ إبراهيم: ٢٤، قال البيضاوي في تفسير لفظة چ□چ: «إجراء له مجرى جعل» قال المؤلف: "فإنَّ ضرب المثل جعل و اتخاذ، ويجوز أنْ يكون نصبهما بتضمين معنى الجعل، اعترض عليه بأنَّ الله تعالى ضرب لكلمة طيبة مثلا، لا كلمة طيبة مثلا، وأجيب بأنَّه يجوز أنْ يفسر المثل بالمثل ويجوز أنْ يقدر المضاف أي ذات المثل"[59].

ومع ما عرفنا من أنَّ الكتاب هو حاشية على تفسير البيضاوي، إلا أنَّنا لا نُعدم من وجود مواضع يقوم فيها المؤلف بتفسير الآية مباشرة من غير التعليق على كلام البيضاوي. مثال ذلك: في تفسير قوله تعالى چﭲﭳچ الحجر: ١٠، قال المؤلف: "قال الفراء هو من إضافة الشيء إلى صفته كقوله چﭖﭗچ القصص: ٤٤، والأصل في الشيع الأولين، والبصريون يؤولون على حذف المضاف إليه، أي في شيع الأمم الأولين، وجانب المكان الغربي"[60].

المبحث الرابع

مآخذ على الكتاب

كان كتاب العلامة سعدي جلبي على ما أسلفنا قد لقي قبولا ورواجا بين العلماء والمدرسين وقد كثر من أثنى عليه لجودة شرحه وبساطة عرضه للمسائل لكن هذا لم يمنع من وجود بعض الملاحظات عليه أهمها:-

1- كان المؤلف أحيانا ينهي كلامه المنقول بكلمة (انتهى)، أما في الغالب فلا يفصل كلامه عن هذا المنقول ما يؤدي إلى عدم معرفة نهايته وبخاصة إذا كان الكتاب غير مطبوع.

مثال ذلك في تفسير قوله تعالى چﮩﮪﮫچ يوسف: ٢، قال البيضاوي «قرآنا... إما توطئة للحال التي هي عربيا» قال المؤلف:...قال في مغني اللبيب "ينقسم الحال بحيث قصدها لذاتها و للتوطئة

بها على قسمين مقصودة وهي الغالب، وموطئة وهي الجامدة الموصوفة، نحو چڈڈڈچ مريم: ١٧، فإنَّما ذكر بشرا توطئة لذكر سويا". وهكذا أنهى النقل دون ذكره لكلمة (انتهى).

في حين يعقب مثاله هذا مباشرة بقوله:"وفي شرح الكافية للعلامة الرضي الحال الموطئة هو اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة، فكأنَّ الاسم الجامد وطأ الطريق لما هو حال في الحقيقة، لمجيئه قبلها موصوفا بها، وذلك نحو قوله تعالىچههههچ يوسف: ٢، انتهى"[61]، فهنا أنهى النقل بهذه اللفظة ليظهر بوضوح نهاية الكلام المنقول.

2- في مواضع عديدة ينقل المؤلف كلاما عن غيره دون الإشارة إلى أنَّه كلام منقول ما يوهم القارئ أنَّه من كلامه وبخاصة عندما ينقل من البحر المحيط. مثال ذلك في تفسير قوله تعالى چ چ هود: ٨١ قال البيضاوي «بالوصل» قال المؤلف: "وكلاهما بمعنى – الإسراء والسري – قاله أبو عبيدة والأزهري وعن الليث أسرى سار أول الليل وسرى سار آخره ولا يقال في النهار إلا سار"[62]. وهذا الكلام قد نقله نصا من البحر المحيط من غير أنْ يشير إلى ذلك[63].

3- يقوم المؤلف أحيانا بنقل الكلام عن قائله من غير ما يسميه بقوله: وقيل... مثال ذلك في تفسير قوله تعالى چۇۆۆۈۈچهود: ٣ قال البيضاوي: «في الدنيا والآخرة»، قال المؤلف: "وقيل تقدم أمران بينهما تراخ وترتب عليهما جوابان بينهما تراخ، فرتب على الاستغفار التمتع المتاع الحسن في الدنيا... ورتب على التوبة إيتاء الفضل في الآخرة... " فنقل كلاما طويلا من البحر المحيط من غير الإشارة إلى ذلك[64].

4- ذكره أحيانا لأسم كتاب من غير ذكر لمؤلفه وبخاصة ما يتعلق بالكتب التي تتشابه مع غيرها في الاسم مثال ذلك في تفسير قوله تعالى (بسم الله) من قوله چڳڳگچهود: ٤١، قال البيضاوي «أو حال من الواو»، قال المؤلف:" اعترض عليه أما أولا؛ فلأن الحال إنَّما تكون مقدرة إذا كانت مفردة بمعنى مجراة أما إذا كانت جملة فلا؛ لأنَّ الجملة معناها اركبوا وبسم الله إجراؤها وهذا النسب واقع حال الركوب كذا في التقريب"[65]، فهنا لم يبين نسبة كتاب التقريب مع أنَّ عدة مؤلفين قد ألفوا بهذا العنوان.

5- ذكره لأسم مؤلف من غير إحالة إلى الكتاب الذي نقل عنه كقوله: قال الفراء، أو المبرد أو النحاس، أو ذكره بكنية يتشابه بها مع غيره كقوله: قال العلامة، أو مولانا العلامة، أو القطب العلامة، وغيرها من الألقاب التي تطلق على أكثر من مؤلف. من ذلك في تفسير قوله تعالى چے

ﮱﮱﯓﭻ هود: ١٠، قال البيضاوي «أي المصائب» قال المؤلف:"... قال الخليل اخطأ الواضع في وضعه كذلك والصحيح أنْ تقول مصاوب"(66)، فهنا قد ذكر كلام الخليل من غير إحالة للمصدر الذي اخذ عنه، ما يؤدي إلى صعوبة التوثيق.

ومن ذلك أيضا في تفسير قوله تعالى « ﭼﯼﯽﯿﭽ هود: ٣٦ » قال المؤلف:"... قال القطب العلامة: إلا من استعد للإيمان وتوقع منه، ولا يراد الإيمان بالفعل، وإلا لكان التقدير، إلا من قد آمن فإنَّه يؤمن انتهى"(67). فبذكره هذه الألفاظ قد أوهم القارئ بالمؤلف المقصود، وبخاصة إذا كانت كتب من يحمل هذا اللقب غير مطبوعة، كالقطب التحتاني(68) الذي يرجح أنْ يكون هو القائل.

6- عدم تخريج الأحاديث والآثار في الغالب.

7- الرجوع إلى الكتب الفرعية وليس الأصلية عند ذكره أقوال بعض المؤلفين. من ذلك في تفسير قوله تعالى ﭽﭾﭿﮀﭼيوسف: ٦٥ قال البيضاوي: «وسق بعير» قال المؤلف: "قال الخليل الوسق حمل البعير والوقر حمل البغل والحمار"(69). ولم اعثر على قول الخليل في كتاب العين وإنَّما هو مذكور في غيره من كتب اللغة منها الصحاح، مادة وسق 1566/4، الذي يستشهد فيه في مواضع متفرقة.

الخاتمة

وبعد التجوال في ثنايا هذا البحث، أقدم لقارئه الكريم أبرز ما توصلت إليه من نتائج:–

1- إن المؤلف –رحمه الله– من العلماء الأفاضل الذين برعوا بعدة علوم أبرزها الفقه، ذاهبا فيه مذهب أبي حنيفة، فضلا عن التفسير واللغة والحديث والعقائد.
2- إنه ولد في ولاية قسطموني وهي أحدى ولايات الدولة العثمانية، ثم انتقل بصحبة والده إلى القسطنطينية، ودرس على يد العديد من علمائها، كما درس على يده العديد من تلاميذها، فكان مدرسا في أحدى المدارس الثمان ثم قاضيا للعسكر ثم عاد للتدريس ثم تولى القضاء والإفتاء إلى أن توفي سنة 945هـ.
3- ترك المؤلف العديد من المؤلفات في الحديث والعقائد واللغة فضلا عن الفقه والتفسير.
4- رجوعه إلى الكثير من الكتب القيمة في مختلف العلوم عند تأليفه لكتابه، مما يدل على علمه وسعة اطلاعه.

5- إتباعه في تأليفه لكتابه منهج التفسير بالرأي المنضبط بما تحتمله اللغة العربية من وجوه، فضلا عن التفسير بالمأثور، وعدم تأييده لأحد المذهبين البصري والكوفي، وإنما كان يستشهد بأقوال لعلماء من كلا المذهبين.

6- تناوله للكثير من القراءات القرآنية بذكر قرائها، وتفسير وجوهها، وتصحيح ما لم يصب به البيضاوي، فضلا عن توثيقها أحيانا برد القراءة إلى المصدر الذي وردت فيه.

7- تأييده الواضح لمذهب أهل السنة في العقائد، مع بيان المواضع التي خالف البيضاوي فيها مذهبه، أما في الفقه فكان تأييده للمذهب الحنفي واضحا في العديد من المسائل التي تناولها.

8- ذكر المؤلف الكثير من الأحاديث الشريفة في كتابه، وكان في الغالب لا يقوم بتخريجها.

9- تناوله لبعض أسباب النزول للآيات، مع الإشارة أحيانا إلى مصادر روايتها، أما المكي والمدني فكان تارة يفصل فيه عند بداية السورة، وتارة يحجم عنه.

10- لم تكن للمؤلف صورة واحدة في تناوله للمسائل، فنراه تارة يطيل في الشرح والتوضيح وأخرى يقتصر على ذكر معنى المفردة المقصودة، سالكا في الكثير من المواضع لأسلوب التعليل، في عرض مادته التفسيرية، فضلا عن استشهاداته الكثيرة تأصيلا للاحتجاج.

11- وجدت بعض المأخذ على المؤلف في تأليفه لكتابه، أهمها عدم الإشارة في بعض الأحيان إلى الكلام المنقول عن الكتب الأخرى، فضلا عن ذكره لكتاب دون ذكره لمؤلفه أو العكس، مما يؤدي إلى صعوبة التوثيق، وأيضا رجوعه في بعض الأحيان إلى الكتب الفرعية وليس الأصلية عند الاستشهاد بقول لأحد العلماء.

وبعد..

فهذه أبرز النتائج التي توصلت إليها في بحثي المتواضع، سائل الله تعالى القبول، وآخر دعواي أن الحمد لله رب العالمين.

الهوامش :

(1) قسطموني مدينة تقع في شمال الأناضول –تركيا حاليا– على بعد نحو مئة كيلو متر من البحر الأسود. ينظر: تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير 210/2 .

(2) كما ذكر جميع من ترجم له.

([3]) ينظر: هدية العرفين 386/1، الكواكب السائرة 335/1، الشقائق النعمانية، ص265، شذرات الذهب 373/10، طبقات المفسرين . للادنروي377/1، معجم المؤلفين 759/1 ، الفوائد البهية ص78، الأعلام 88/3 .

([4]) مدينة يونانية قديمة بنيت في القرن السابع قبل الميلاد على مضيق البوسفور، ثم أصبحت فيما بعد عاصمة للدولة البيزنطية وسميت (قسطنطينية) نسبة إلى الإمبراطور الروماني (قسطنطين الأول) الذي جدد بنائها سنة 324 للميلاد وانتقل من مدينة روما إليها واتخذها مقرا له ، وقد ورد ذكرها في عدة أحاديث شريفة ، بل افرد بعضهم بابا في فتحها، من ذلك حديث عبيد بْنُ بِشْرٍ الغنوي عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم يَقُولُ: لَتُفْتَحَنَّ الْقُسْطَنْطِينِيَّةُ فَلَنِعْمَ الأَمِيرُ أَمِيرُهَا وَلَنِعْمَ الْجَيْشُ ذَلِكَ الْجَيْشُ قَالَ: فَدَعَانِي مَسْلَمَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ فَسَأَلَنِي فَحَدَّثْتُهُ فَغَزَا الْقُسْطَنْطِينِيَّةَ . (رواه البخاري في التاريخ الكبير 81/2) . ولم تفتح هذه المدينة رغم المحاولات العديدة من الخلفاء لنوال هذا الشرف المذكور في الحديث إلى زمن الخلافة العثمانية حيث فتحها الخليفة العثماني محمد خان (ت886هـ) والذي على أثرها عرف فيما بعد بمحمد الفاتح سنة 857هـ ، فجعلها عاصمة للدولة العثمانية. ينظر : تعريف بالأماكن الواردة في البداية والنهاية 14/2 .

([5]) وهي المدارس التي أنشأها الخليفة محمد الفاتح في القسطنطينية بعد فتحه إياها، عرفت بـ(المدارس الثمان) وقد كثر ذكرها عند الترجمة لعلماء هذه المدينة من الذين عملوا فيها بوصفهم مدرسين أو مدراء .

([6]) مؤرخ عالم بالتراجم توفي سنة 953هـ . ينظر ترجمته في معجم المؤلفين 540/3، الأعلام 291/6 .

([7]) ينظر: الكواكب السائرة ص336 ، شذرات الذهب 374/10 .

(8) ينظر: الفوائد البهية ص61، الشقائق النعمانية ص179. الكواكب السائرة336/1، شذرات الذهب 134/10.

([9]) أي محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة. ينظر: الفوائد البهية ص78 .

[(10)] شذرات الذهب 575/10، الشقائق النعمانية ص425 .

[(11)] شذرات الذهب 584/10، معجم المؤلفين 693/3 ، النور السافر ص314

([12]) ينظر: الشقائق النعمانية ص478 .

([13]) ينظر: الشقائق النعمانية ص476، كشف الظنون 1306/2.

[(14)] شذرات الذهب 591/10، الشقائق النعمانية ص485 .

([15]) ينظر: الشقائق النعمانية ص488، شذرات الذهب 597/10 .

([16]) ينظر: الشقائق النعمانية ص496، الكواكب السائرة ص409، شذرات الذهب 608/10 .

([17]) ينظر: الأعلام 89/3 ، كشف الظنون 191 .

([18]) ينظر: معجم المطبوعات ص1025، هدية العارفين 386/1، وفي الكواكب السائرة سماها: مختصر مفيد للهداية، ينظر: ص336 ، وفي أسماء الكتب: حاشية على الهداية والأكمل، ينظر : ص148 .

([19]) ينظر: الأعلام 89/3 .

([20]) هدية العارفين 386/1 .

([21]) هدية العارفين 386/1 .

([22]) ينظر: طبقات المفسرين للأدنروي ص377 ، والاعلام3/ 88 .

([23]) ينظر: كشف الظنون 1341/2.

([24]) ينظر: كشف الظنون 1603/2 .

([25]) خزانة التراث: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث، السعودية – الرياض (لم اعثر على الكتاب إلا في الموسوعة الشاملة وهو غير موافق للمطبوع)، ينظر الأرقام التسلسلية: 48273، 68012، 102023، 128272 .

([26]) ينظر : الشقائق النعمانية ص265 .

([27]) طبقات المفسرين للأدنروي ص377 .

([28]) الكواكب السائرة ص336 .

([29]) الهامش السابق .

([30]) ينظر: معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الثالثة 1409هـ-1988م 206/1.

([31]) ينظر: الفوائد البهية ص78 .

([32]) ينظر: صحيح البخاري، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم نصرت بالرعب 1087/3 رقم 2815 .

([33]) حاشية سعدي جلبي على تفسير البيضاوي، تحقيق: بلال جاسم محمد، (رسالة ماجستير غير مطبوعة)، ص322.

([34]) المصدر نفسه: ص333 .

([35]) المصدر نفسه: ص102 .

([36]) المصدر نفسه: ص251 .

([37]) المصدر نفسه: ص443 .

([38]) المصدر نفسه: ص190 .

([39]) المصدر نفسه: ص85 .

([40]) ينظر: البحر المحيط ص1106 .

([41]) حاشية سعدي جلبي على تفسير البيضاوي: ص45 .

([42]) المصدر نفسه: ص243 .

([43]) المصدر نفسه: 340 .

([44]) المصدر نفسه: ص112 .

([45]) المصدر نفسه: ص342 .

([46]) المصدر نفسه: ص82 .

([47]) المصدر نفسه: ص240 .

([48]) ينظر: السبعة في القراءات ص256 .

([49]) حاشية سعدي جلبي على تفسير البيضاوي: ص166 .

([50]) المصدر نفسه: ص144 .

([51]) المصدر نفسه: ص351 .

([52]) المصدر نفسه: ص446 .

([53]) المصدر نفسه: ص47 .

([54]) المصدر نفسه: ص111 .

([55]) المصدر نفسه: ص52 .

([56]) المصدر نفسه: ص358-359 .

([57]) للمكي والمدني أكثر من تعريف أشهرها إن المكي: ما نزل من القرآن قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة حتى ولو نزل بغير مكة، والمدني: ما نزل من القرآن بعد الهجرة وإن كان نزوله بمكة. ينظر: البرهان في علوم القرآن للزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم الطبعة الأولى، 1376 هـ - 1957م: إحياء الكتب العربية 187/1.

([58]) حاشية سعدي جلبي على تفسير البيضاوي: ص382 .

([59]) المصدر نفسه: ص304 .

([60]) المصدر نفسه: ص333 .

([61]) المصدر نفسه: ص166 .

([62]) المصدر نفسه: ص111 .

([63]) ينظر: البحر المحيط 238/5 .

([64]) ينظر: البحر المحيط 202/5 .

([65]) حاشية سعدي جلبي على تفسير البيضاوي: ص78 .

([66]) المصدر نفسه: ص60 .

([67]) المصدر نفسه: ص74 .

([68]) القطب التحتاني ، محمد (أو محمود) بن محمد الرازي أبو عبد الله، قطب الدين: عالم بالحكمة والمنطق. من أهل الري. استقر في دمشق سنة 763 وعلت شهرته ... وتوفي بها سنة 766 هـ. من كتبه (المحاكمات) في المنطق، و (تحرير القواعد المنطقية في شرح الشمسية) و (حاشية على الكشاف) وغيرها . طبقات المفسرين للادنروي ص292 ، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة 339/4 ، الأعلام 38/7 .

([69]) حاشية سعدي جلبي على تفسير البيضاوي: ص204 .

المصادر والمراجع

1. أسماء الكتب، تأليف: عبد اللطيف بن محمد رياض زادة تحقيق: د.محمد التونجي، مكتبة الخانجي بمصر، 1395هـ- 1975م.
2. الأعلام، تأليف: خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، دار العلم للملايين الطبعة الخامسة عشر - أيار / مايو 2002 م.
3. البحر المحيط، تأليف: محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي: تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية - لبنان/ بيروت، الطبعة الأولى 1422 هـ - 2001 م.
4. البرهان في علوم القرآن بدر الدين محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم: إحياء الكتب العربية، الطبعة الأولى، 1376 هـ - 1957م.
5. تعريف بالأعلام الواردة في البداية والنهاية لابن كثير، لم اتمكن من الحصول عليه الا من الموسوعة الشاملة، ولا توجد فيه بطاقة.
6. الجامع الصحيح المختصر، تأليف: محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، اليمامة - بيروت، الطبعة الثالثة 1407 - 1987.
7. حاشية سعدي جلبي على تفسير البيضاوي، تحقيق: بلال جاسم محمد، (رسالة ماجستير غير مطبوعة).
8. خزانة التراث: مركز الملك فيصل للدراسات والبحوث، السعودية - الرياض (لم اعثر على الكتاب الا في الموسوعة الشاملة وهو غير موافق للمطبوع).
9. السبعة في القراءات، تأليف: أبو بكر أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد البغدادي، تحقيق: شوقي ضيف، دار المعارف - مصر، الطبعة: الثانية 1400هـ.
10. شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تأليف: عبد الحي بن أحمد العكري، تحقيق عبد القادر الأرنؤوط، محمود الأرناؤوط، دار بن كثير -بيروت، الطبعة الاولى 1406هـ-1985م.
11. الشقائق النعمانية في علماء الدولة العثمانية، تأليف: طاشكبري زادة، دار النشر: دار الكتاب العربي - بيروت - 1395هـ/ 1975م.
12. طبقات المفسرين ، تأليف: أحمد بن محمد الأدنروي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي،

مكتبة العلوم والحكم – السعودية، الطبعة الأولى 1417هـ- 1997م.

13. الفوائد البهية في تراجم الحنفية، تأليف: ابو الحسنات محمد اللكنوي، تصحيح: محمد بدر الدين، دار المعرفة بيروت–لبنان.
14. كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة، مكتبة المثنى – بغداد، تاريخ النشر: 1941م.
15. الكواكب السائرة بأعيان المئة العاشرة: نجم الدين محمد بن محمد الغزي، تحقيق: خليل المنصور، دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى، 1418 هـ - 1997 م.
16. معجم المؤلفين، تأليف: تراجم مصنفي الكتب العربية، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة، دمشق 1376هـ-1957م.
17. معجم المطبوعات العربية والمعربة: يوسف إليان سركيس، مطبعة سركيس بمصر 1346 هـ - 1928 م.
18. معجم المفسرين، عادل نويهض، مؤسسة نويهض الثقافية، الطبعة الثالثة 1409هـ-1988م.
19. النور السافر عن أخبار القرن العاشر: محي الدين عبد القادر العَيْدَرُوس، دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى- 1405هـ.
20. هدية العارفين، تأليف: إسماعيل باشا البغدادي، وكالة المعارف – استانبول 1951م، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان.